

الفصل الثامن:

العاشقة

عن الحب

والصدق

وخفقات القلب

في صباح اليوم التالي، انتشر الضباب الكثيف مغطياً الأفق ومتسللاً بين الجدران المتهدمة يزيدها وحشة.. ورغم أن الضباب يوفر لهم تغطية ملائمة، إلا أن القلق استعمر الثوار وهم ينتشرون بين الأطلال مراقبين ما يمكنهم مراقبته وسط الصمت التام.. ظلت بي ناريا قلقة بدورها وهي تتوقع هجوماً للجنود في أي لحظة، ولما رأت الثوار يتجمعون حول رئيسهم، أسرعَت تقترب منهم لتعرف ما الذي يخططون له.. فسمعت الرئيس يقول لهم "سأرسل خمس فرق عليها أن تجوب المنطقة حولنا وتتحسس الجنود.. كل فريق مكوّن من رجلين، وعليكم التزود بالأسلحة احتياطاً لأي مواجهة قد تتم بينكم وبين الجنود إن عثروا عليكم.. لكنني أشدد على تلافي الاشتباك معهم قدر المستطاع، وأن لا تكشفوا وجودكم لهم.. كونوا حذرين أشد ما يكون.."

ونادى رجاله بأسمائهم معيّناً كل رجلين كفريق ومحددات وجهتهم.. وكما توقعت بي ناريا كان هارولان من ضمن إحدى تلك الفرق.. ولما امتطى هارولان التوكور ماراً بها ورأى وجهها قال "علام كل هذا القلق؟"

خفضت بصرها دون أن تجيبه وإن بدا انفعالها واضحاً على وجهها، فابتسم قائلاً ليطمئنها "لا تقلقي.. هي مهمة استطلاعية ليس إلا.."

تحدّت عن طريقه بصمت لينطلق مع رفيقه بسرعة في وجهتهما.. ولما ابتعدا قال الرجل لهارولان ملاحظاً الابتسامة التي شاعت على وجهه "لم كل هذه السعادة؟ هل قالت لك شيئاً لم أسمع أنا؟.."

قال هارولان "بلى، قالت لي الكثير.. ألم تفهم معنى نظراتها هذه؟ إنها تعني لي أكثر مما تتخيل.."

أما بي ناريا فقد جلست قريبة من الرئيس متوترة، تستمع إليه يلقي بتعليماته لرجالها صامتة.. وتتأمل المكان حولهم بحثاً عن جندي يباغتهم أو فوهة سلاح توجه إليهم.. كان الانتظار والترقب أصعب من المواجهة، لكنها لم تكن تملك من أمرها شيئاً وهي جالسة بانتظار المجهول.. وبعد مرور ساعة وهم في قمة توترهم، سمعوا طلقاً نارياً تردد صده في الأجواء محطماً الصمت، تبعته عدة طلقات من جهة بعيدة.. وقفت بي ناريا والقلق يغزو ملامحها بينما هبّ بعض الرجال إلى ظهور التوكور ليستكشفوا الأمر.. لكن الرئيس استوقفهم قائلاً "لا تغامروا.. قد يؤدي ظهوركم إلى كشف موقعنا وتعريضنا للخطر.."

تساءل أحد الرجال "وماذا عن رجالنا هناك؟"

أجابه "إنهم قادرون على حماية أنفسهم.. لا أريد التضحية بالكل لأجل شخصين.."

رغم قسوة قوله إلا أن أحداً لم يعترض عليه.. أما بي ناريا فقد أخذ القلق ينهشها وهي لا تدري في أي اتجاه ترددت تلك الطلقات.. أهو في اتجاه هارولان؟ ولو كان كذلك هل سيكون بخير؟.. هذه المرة اعترفت لنفسها بحقيقة كانت تتفادها.. إنها تخشى عليه.. تخاف أن يصيبه مكروه ولا تعلم لماذا.. قطبت وهي تفكر في سبب كل هذه المشاعر التي لم تعرفها سابقاً، لماذا تهتم به وهي بالكاد تعرفه؟ لأنه أبدى بعض اللطف تجاهها منذ ابتداء الآخرين يعادونها؟ لأنه مدح جمالها وكرر ذلك دون أن يردعه جفاؤها؟ أم لأنه شعر بما لا تعترف هي نفسها به من دواخلها؟.. لأنه لمس ضعفها الحقيقي وشجعها على الاعتراف به؟.. لا تدري حقا ما تصف به

شعورها، كل ما تعرفه أن اهتمامها به يتجاوز اهتمامها بأي شخص آخر..

قطع تفكيرها اقتراب عدد من الرجال الذين غادروا مستطلعين إلى الأطلال تباعاً.. وكل منهم يؤكد أن الأجواء حولهم خالية تماماً من الجنود، لكنهم يجهلون سبب الطلقات التي تعالت منذ قليل.. توافدت الفرق الأربعة كلها تباعاً إلا فريق هارولان.. فتركت بي ناريا موقعها لتتقدم إلى طرف الأطلال بانتظار أن ترى لمحة منه.. وبعد مدة طالت والجمع يتجادلون في أمرهم، رأوا الرجلين الأخيرين يتقدمان منهم بسرعة على ظهور التوكور.. ورغم ارتياحها، إلا أن بي ناريا هلعت لرؤية الدماء تغرق ذراع هارولان اليمنى إذ مر بها بينما الرجل الآخر يعاني إصابة في ساقه.. أسرع الرجلان إلى الرئيس لإبلاغه بما حدث، فقال الرجل فور نزوله "الجنود.. وجدنا فرقة منهم تتخفى جنوب الأطلال.. ويبدو أنهم يبحثون عنا"

قال الرئيس مقطباً "إذن موقعنا هنا أصبح خطراً.."

علق هارولان "لا تخف.. لقد قضينا على الفرقة عندما وجدناهم غافلين.. وهم في منطقة بعيدة عنا ولن يستدل من يجدهم علينا بسرعة.."

وأشار إلى ظهر التوكور المحمل بالأسلحة مضيفاً "وربحنا المزيد من العتاد.."

قال الرئيس "أحسنتم صنعاً.. اذهبا وعالجا جراحكما.. بعدها أريد معرفة ما حدث بالتفصيل.."

وأشار إلى رفيق هارولان قائلاً "بعد أن تعنتني بجرحك، لتذهب مع فرقة من الرجال لنقل الجثث بعيداً عن الأطلال وإخفاء آثارهم.."

اتجه هارولان من فوره إلى بي ناريا الواقفة في جانب المكان ووجهها يعتريه القلق، ولما اقترب منها بادرت بهجوم تخفي به قلقها "أنت وعدت أنك ستكون بخير.."

ابتسم لحدثها وهو يتناول قطعة نظيفة من جراب التوكور، ثم جلس على حجر قائلاً "وأنا لازلت بخير.. هذا جرح عادي بالنسبة لي.. هل تساعدينني؟"

غمغمت بقلق "لكني لا أعرف كيف.."

قال "ليس في الأمر معرفة.. اربطي الجرح بهذه القطعة بقوة كي يتوقف النزف.. من حسن حظي أن الرصاصة خدشت ذراعي فقط.."

انتفضت للفكرة وزاد هلعها رؤية الجرح بعد أن كشف عنه، فتراجعت مغممة "لا.. لا أستطيع هذا"

قطب متسائلاً "هل تريدين اقناعي أنك لم تتعاملتي مع الجروح في القصر أبداً؟!"

هزت رأسها مجيبة "أنا لم أرَ جرحاً كهذا من قبل.."

فعاد يقول "هيا.. لا تكوني عديمة الفائدة هكذا وتتركيني أنزف حتى الموت.."

استشاطت غضباً أخذه مزاحه على محمل الجد فقالت بحدة "لا أذكر أن أهمية وجودي في الحياة مرتبط بمهارتي في معالجة جراحك.."

واستدارت مبتعدة عنه وعن الأطلال كلها بغضب.. فسمعته يصيح خلفها "لا تتبعدي عن المكان.. لا يزال خطر الجنود قائماً.."

لكنها لم تعره اهتماماً وهي تبتعد مسافة كافية حتى غابت عن بصره وعن الآخرين، فتنحّت وجلست جانباً على جدار متهدم والغيظ يأكلها.. إنها قلقة عليه وهو يجد الوقت ملائماً للاستهزاء بها.. حقاً ما كان يجب أن تتعب نفسها بالتفكير فيه.. أقنعت نفسها من جديد أنه لا يعني لها شيئاً ولا يجب أن تهتم بما يقوله..

بعد فترة صمت والضباب يختفي شيئاً فشيئاً من حولها مع ارتفاع الشمس وتزايد قوتها، سمعت صوت خطوات تقترب منها فتأكد لها أنها لهارولان.. سمعته يقترب فيجلس غير بعيد عنها صامتاً بدوره، فتجاهلته بشكل تام وهي تنظر بعيداً.. ولما طال الصمت بينهما وبدا أنه لن يبدأ الحديث، قالت بضيق "ما الذي تريده مني؟"

قال بعد لحظة صمت "أن أعتذر.."

قالت "وهل يعتذر المرء عن قناعاته الخاصة؟ أنت مقتنع منذ عرفتني أنني لست ذات فائدة.. فاعتذارك الآن لا يعني شيئاً.."

اعترض قائلاً "لم يكن هذا مقصدي.. لقد كنت أمزح وأردت تشجيعك على التغلب على خوفك.. لم أعتقد أنك ستأخذين قلبي على محمل الجد.."

فقالت مشيخة "لقد اعتذرت إذن.. فاتركني وحيدة.."

قال بهدوء "لا أستطيع تركك أبداً.. إن لم تعودني إلى البقية فسأبقى معك هنا.."

نظرت له بضيق ملاحظة جرحه الذي ربطه بنفسه كيفما اتفق وقالت "ولماذا تفرض نفسك عليّ بهذه الصورة؟" ابتسم مجيباً "لأنني أهتم بك.. أيكفي هذا؟"

قالت مشيخة "لو كنت تخشى تأنيب الرئيس لك فلا تخف.. سأبلغه أنني من طلب منك المغادرة.. لست بحاجة لحارس شخصي.."

نهض ليجلس قربها قائلاً "لكنني حقاً أهتم بك ولا دخل لأوامر الرئيس في هذا.. أم أنك لا تصدقين؟"

نظرت له بتشكك، فأضاف "أعلمين أنني من طلب من الرئيس أن يضعك تحت حمايتي في هذه الرحلة؟ ولم أطلب هذا إلا لأكون أقرب إليك"

ظللته دهشة عميقة، فتساءلت "لماذا؟ لطالما كنت تسخر مني ووصفتني بالمتعجرفة.. فلماذا الآن؟"

همس وهو يمسك إحدى يديها "لأنني اكتشفت أنني أحبك.."

انتفضت وجذبت يدها بقوة وهي تشيح بوجهها مرتبكة مما أدهشه.. حب؟ لا.. ليس هذا ما تبغي سماعه.. ليس

هذا ما تبغي مواجهته، وهي لسبب تجهله تشعر أنها مواجهة خاسرة.. حاولت تجاوز ضربات قلبها الهائج

وقالت بشيء من الخشونة "هذا لا يعنيني في شيء.. أنا لا أقبل حبك هذا"

قطب متسائلاً "لماذا؟"

قالت بعجرفة محاولة تغطية ارتباكها "لست مطالبة بأن أحب كل من أحبوني.. وأنت لست الأول بالتأكيد.."

صمت مطرقاً يفكر مما أراحها وهي تتمنى أن يصرف النظر عن الفكرة دون ملاحظة.. لكنه عاد يقول بهدوء

"هل أنت متأكدة أنك لا تحملين لي أي اهتمام؟"

قالت مقطبة "ما الذي هياً لك هذا؟"

أجابها "عدة أمور.. سؤالك عني عند وصولك إلى هذا الموقع، وقد أكد لي الجميع أنك سألت عني بإلحاح.. وجهك القلق الذي رأيته عند مغادرتي صباحاً.. والفرع على وجهك عندما عدت والدماء تغرق ذراعي.. كلها أدلة لا أحتاج لسؤالك لأعرف معناها.."

قالت بحدة "أنت تضخم الأمور.. كل هذا لا يعني حباً، نحن رفقاء في السفر، ومن الطبيعي أن أسأل عنك عند غيابك.."

فقال بعناد "انظري لعيني وكرري أنك لا تهتمين بي قيد شعرة.. أخبرتك أن عيناك تفضحان الكثير ولن تخدعني كلمات تخرج من طرف لسانك.."

نهضت بعصبية قائلة "أنت لوح جداً.."

وابتعدت عنه خطوات لكنه أسرع إليها وأدارها لتواجهه قائلاً "لا تهربي مني.."

تراجعت خطوات وهي تقول بعصبية "ما الذي تريده مني؟ أنا لا يمكن أن أقع في الحب.. الحب عبودية، وأنا لن أسقط في فخه أبداً.."

نظر إليها بدهشة مصدومة، ثم تقدم منها وهي تتراجع حتى وجدت جداراً يلمس ظهرها ويوقف تراجعها، أما هارولان فقد استند بيديه إلى الجدار مانعاً هروبها وهو يقول "من الذي ملأ عقلك بفكرة حمقاء كهذه؟ الحب يطلق القلب من كل قيوده، فكيف يكون عبودية؟ لو كان الحب كما تقولين فكيف يمنح صاحبه السعادة؟ لماذا يتحسر من لم يملك الحب؟ ولماذا يكون الغارق في الحب مثار غيرة وحسد الآخرين؟"

أشاحت بوجهها هرباً منه وهي تقول بعناد "لن يغير هذا نظرتي للحب.. قلبي كان ولا يزال منيعاً ولن يستسلم لأول كلمات حب تُسكَب أمامه.."

نظر إليها مغمماً "أنت تتظاهرين بالقوة.. لكنك في الواقع تهربين.. تخافين من الوقوع في حب قد يسبب لك إذلالاً، وتخافين أن تخطئي الاختيار.. أليس كذلك؟"

نظرت له بحنق وقد غاظها أنه أصاب الحقيقة، لكن قبل أن تعترض بكلمة واجهتها نظراته القوية التي تشعر بأنها تنفذ إلى أعماقها مما دفعها لتخفض بصرها باضطراب صامتة، فأمسك كتفيها مضيقاً "لو أثبت لي أنك حقاً تبغضينني كما تدعين فسأتركك في حال سبيلك ولن أعترض طريقك بعدها.. لكن لو لم تستطيعي ذلك فمَنْ حقي أن أظن بأنك تبادلينني الشعور.. أليس كذلك؟"

غمغمت بصوت مخنوق "أنت تهدم جميع ما عشت أبنيه من قناعات.. فما الذي سيبقى لي؟"

قال بلهجة ألطف "ألا تريدان أن تري ما يمكن للحب تقديمه لك؟ لم الحزن على قناعات كئيبة فيما البديل أكثر إشراقاً وسعادة؟"

أغمضت عينيها وهي تقول بصوت مرتجف "لا أدري.. لم أعد أعلم شيئاً الآن.."

كانت تعيش صراعاً داخلياً عنيفاً قلب موازينها.. فمن جهة لم تتخل عن قناعاتها كملكة بأنها يجب أن تكون الأقوى.. أن لا تستسلم لمشاعر تعصف بكيانها وتجعلها تدور في فلك رجل.. ومن جهة فقلبها رغم كبتها له إلا

أنه يرتجف سعادة رغماً عنها.. يتوق ليجيب هارولان على حبه، ويتوق ليتذوق هذه السعادة التي يمنحها الحب لها.. ورغم قوة شخصيتها إلا أنها فوجئت بضعفها عن السيطرة على قلبها.. أحقاً سقط قلبها في شباك الحب دون أن تنتبه؟

وضع هارولان راحته على خدها برفق هامساً "لماذا تصارعين ذاتك بهذه الطريقة؟ ما الذي ستخسرينه لو أنك جربت هذا الحب؟ وما الذي تستفيدينه من رفض شيء لم تجربيه؟"

خففت وجهها قائلة "قلبي لن يحتمل التجربة.. ونفسي أعز من أن تهان ولو لمرة واحدة.."

ونظرت إليه قائلة بارتجافة "ما الذي سأفعله لو أنك استغللت حبي وأدللتنني؟ أنت ترى الأمر هيناً لكنني أراه كبيراً.. ولا أريد لتجربتي الأولى أن تكون خاطئة.."

جذبها لحيطها بذراعيه ويحتضنها بقوة هامساً "وهل تظنينني راغباً في إذلاك واستغلاك؟ كيف يكون هذا حباً الذي يسمح بإذلال أعز شيء لديّ؟"

لاذت بالصمت والخجل يحرق خديها وهي تستمع لقلبه الهائج، والذي دلّها على أنه لم يكن أقل منها انفعالاً.. وسمعتة يضيف "لست أدري لم ومتى انجذب قلبي لك، لكنه اختارك أنت من بين الجميع، ولا يمكنني إلا أن أرضى باختياره.. فهل أختارني قلبك حقاً؟ أم أنني كنت أتوهم؟"

قالت مراوغة والاحمرار يغزوها "لماذا تسأل عن شيء أنت متأكد منه؟ أم أن كل ما قلته سابقاً كان تخميناً؟" نظر إلى وجهها وهو يسألها مجدداً "أريد أن أسمع منك.. فهل أختارني قلبك؟"

خففت بصرها واحمرار وجهها يزداد وهي تجد صعوبة في إجابته، فقال بإلحاح "هل تحبينني حقاً؟" تماكنت نفسها وهزت رأسها إيجاباً بخفة وهي مندهشة لحالها.. لم تعهد في نفسها خجلاً من مجرد نظرات يلقياها عليها أي رجل، ولم تعلم في أعماقها اضطراباً وضعفاً لسؤال لو سأل رجل آخر لرفضته بكل ثقة وكبرياء.. أهذا ما فعله الحب بقلبها؟..

وإزاء إجابتها الخافتة تنهد هارولان بسعادة وهو يضمها من جديد بقوة أكبر.. وهمس في أذنها "أحبك يا جوين.."

انتفضت بي ناريا لسماع الاسم وقد كادت تنسى انتحالها لشخصية جوين.. نسيت هذا وتوقعت أنه يحب الملكة بي ناريا، وظنت أنه سيتلفظ بإسمها في همسه.. لكنها عادت لواقعها عندما سمعت اسم جوين وخفتت حماسها وهي تراه مغرماً بشخصيتها المنتحلة لا بشخصيتها الحقيقية.. فدفعته باضطراب وهي تغغم "يجب أن أعود.."

فقال وسعادته الغامرة تلهيه عن رؤية وجهها المضطرب "أجل.. فلنعد قبل أن نثير شكوكاً باختفائنا.."

أسرعت في خطوها تسبقه عائدة إلى الأطلال لتجلس في مكانها المعهود وهي تحاول السيطرة على ارتباكها وعلى الأسئلة التي تغزو عقلها.. ترى هل سيحبها إذا اكتشف أنها ليست سوى الملكة؟ لم تحتج لتصريح لتعرف أنه لا يختلف عن بقية الهيمانين الذين يكرهونها، لكن هل سيشفع حبها لها ويغفر لها جهلها عما كان يحدث لهم؟..

أما هارولان فقد أعمته سعادته عن رؤية قلبها واضطرابها.. ولم يطق صبراً فور وصوله إلى حيث تجمع الثوار فوقف وسطهم وقال "فليسمعني الجميع.. جوين منذ هذه اللحظة قد غدت لي.. ومن يريد الاعتراض فلن أرحمه أبداً.."

فوجئت بي ناريا بقوله فاحتقن وجهها بمزيج الإحراج والغيط، وأدارت ظهرها لهم وهي تسمع الرجال يضحكون لإعلانه الاستعراضي ويهتفون بطريقتهم الجلفة.. أما الرئيس فقد اقترب منها متسائلاً "هل حق ما قاله هارولان؟"

قالت بضيق "ما كان عليه قول ذلك بتلك الطريقة.."

علق الرئيس قائلاً "هذا يدل على نواياه الواضحة تجاهك.. إنه فتى طيب ومخلص جداً.. لكنني أردت الاطمئنان إلى أنه لم يفرض نفسه عليك، فأنت تحت مسؤوليتي، وأنا لا أريدك أن تتعرضي لمضايقة أبداً.."

ابتسمت بي ناريا بصمت وهي لا تستطيع أن تخبره أن هارولان قد فرض نفسه عليها بالفعل.. ولو لم يفعل لرفضت الحب جملة وتفصيلاً وقضت على بوارده في قلبها تماماً.. وإزاء ابتسامتها الصامتة قال الرئيس "أتمنى أن يزدهر هذا الحب ولا يتعرض لما يحبطه.. فنحن قادمون على مرحلة لا نعلم ما ستكون نهاياتها.."

وعاد إلى رجاله ليقطع أحاديثهم ويعين الفرق الجديدة التي ستقوم بتمشيط الجوار.. أما بي ناريا فقد كانت تعلم تمام العلم ما الذي سيحدث في المرحلة القادمة.. ستقود هؤلاء الثوار لمقاتلة مانيم، وعندما يتم القضاء على هذا الوغد ستستلم الحكم من جديد، وستعين هارولان في منصب كبير يليق بمن سيكون زوجاً للملكة.. لا يمكن للحياة أن تكون أفضل من هذا..

قبل طلوع الشمس في اليوم التالي، شعرت بي ناريا بهارولان يلمس خدها برفق هامساً "استيقضي يا زهرتي الجميلة.."

فتحت عينيها لتتطلع إليه جالساً قربها وهو يتأملها بنظرة تفيض حباً ويقول بابتسامة مشرقة "كيف حال زهرتي هذا الصباح؟"

اعتدلت جالسة مغممة وقد ملأها الإحراج "ألا يمكنك أن تعاملني كما كنت تفعل عادة؟"

اتسعت ابتسامته وهو يجيب "لم أعترف لك بحبي كي أعاملك بجفاء كالسابق.. ما الذي يمنع أن أعبر لك عن حبي بكل صورة ممكنة؟"

قالت مطرقة "لم أعود على هذا، لذلك فإنه يصيبني بالإحراج.."

أمسك ذقنها لتواجهه وهو يهمس "أحقاً أنت لي؟"

نظرت له بدهشة وهي تتساءل "ما الداعي لمثل هذا السؤال؟"

تنهد وهو يقول "أخشى أن يختطفك شخص آخر، أكثر وسامة أو أكثر لطفاً أو أكثر مالا.. أخشى أن أفقدك

لأنني لا أملك ما يستحق أن أمنحك إياه.."

فقالت بابتسامة "يمكنك منحي إخلاصك وحبك.. وهذا يكفيني عن كل شيء.."

غمغم بدهشة "حقاً؟"

أجابت "لقد رأيت الكثير الكثير ممن هم في قمة الوسامة والغنى واللفظ.. لكنني لم أنجذب إلا لرجل جلف

ساخر لم يعاملني بالاحترام الذي رجوته.. لكنه شجاع وقلبه طيب جداً.. وربما هذا ما جذبني إليه"

لم تشعر بمدى تأثره بقولها إلا من نظراته التي أحاطتها، فسارعت لتغيير الموضوع لتغالب إحراجها متسائلة "ما

الداعي للاستيقاظ مبكراً؟ هل جد جديد؟"

أجاب وهو يناولها بعض الطعام والماء "المركبات التي يقودها رجالنا في طريقها إلى هنا.. وسنرحل خلال ساعة

على الأكثر.."

لاحظت أن أغلب الرجال قد تفرقوا في الأنحاء مراقبين رغم الضباب الكثيف.. وقبل مرور الساعة تناهى إليهم

صوت المركبات المميز يقترب محطماً الصمت.. فتساءلت بي ناريا بقلق حيث جلست جوار الرئيس "هل أنتم

متأكدون أنهم رجالكم؟"

أجاب الرئيس "لقد أرسلت رجلين ليتأكدا من هذا بالفعل.."

وخلال فترة قصيرة كانت المركبات تقف عند طرف الأطلال وينزل منها ما يقارب الخمسة عشر رجلاً، واقترب

أحدهم من الرئيس قائلاً "ها هي المركبات الإثنا عشر جاهزة بعتادها.. لم يكن استيلاء هذا العدد سهلاً لكن

مرّ الأمر بسلام دون شكوك.. وقد نفذنا عملياتنا في عدد من المدن للتضليل.."

قال الرئيس "أحسنتم صنعاً.. انقلوا عتادنا كله عليها.."

انطلق الجميع لتنفيذ أمره بتجريد حيوانات التوكور مما تحمله من أمتعة وعتاد بينما تساءل هارولان "ما الذي

سنفعله بالتوكور؟ هل سنطلقه في العراء؟"

قال الرئيس "لا نملك وسيلة أخرى.. انتفت حاجتنا له ولا نستطيع أخذه معنا أو أخذه لإخفائه في أقرب مدينة..

فهذا العدد منه سيثير الشك ولا بد.."

بعد أن أكملوا عدتهم، توزعوا في ركوب المركبات والرئيس يركب في المركبة المتقدمة حاملاً خريطة مفصلة

للإقليم وعليها علامات على الدرب المقرر أن يسلكوه ليصلوا إلى إقليم سيرالدا، بينما أبقى هارولان بي ناريا

قريبة منه في مركبة أخرى لتسير القافلة الجديدة بأمر الرئيس بصمت كالعادة.. لاحظت بي ناريا أن الثوار رغم

صخبهم الذي عرفته في الوكر، فإنهم هادئون ملتزمون بالصمت منذ بدأت الرحلة إلى يناساً وكأنهم

يستشعرون خطورة رحلتهم في كافة مراحلها.. وحتى هارولان فقد التزم الصمت منذ انطلقهم وإن ظل

محتفظاً بيدها بين يديه..

تشاغلت بي ناريا بالنظر إلى المناظر التي يعبرون بها وهي تلاحظ تبدلها السريع لتصبح أزهى وأكثر ثراء..

ومع مرور الوقت شعرت أن رحلتهم عبر الإقليم، الذي من المفترض أن يتجاوزوه مع انتهاء النهار، قد أضحت

أكثر سلاسة ويسراً.. وأن وصولهم إلى يناساً لن يستغرق وقتاً طويلاً كما ظنت..

فتح باب الجناح الملكي الخاص بالملكة الأم، ودلفت منه جوين حاملة بعض الطعام والشراب الدافئ.. اقتربت من الملكة التي لا تبارح سريرها ووجهها شديد الشحوب.. وقالت وهي تضع الطعام جانباً وتقترب لتساعد الملكة على الجلوس "مولاتي.. يجب أن تتناولي بعض الطعام اليوم.. حالك يزداد سوءاً كل مرة أراك فيها.."
غمغمت الملكة الأم وهي تشيح بوجهها "لا أستطيع.. ناوليني بعض الماء فقط.."
اعترضت جوين وهي تزيج خصلات الملكة المبعثرة وتسوي شعرها "مولاتي.. حالك لا يسرّ أحداً في القصر.. الكل قلق عليك، والمستشار يستجوبني كل يوم ويوصيني بك.."
وابتسمت وهي تقرّب الطعام من الملكة "هيا.. حتى مولاتي بي ناريا ستغضب مني إن رأتك بهذه الحال.."
ندمت جوين على ذكر بي ناريا وهي ترى الملكة تغطي وجهها بيديها منتفضة، فسارعت لتقول "مولاتي.. لا تخافي على مولاتي بي ناريا.. المستشار يؤكد لنا أنها بخير.. لقد استطاع أن يستخلص بعض المعلومات عنها من حديث الملك ورئيس الوزراء.. مولاتي حية، ولم يستطع الملك حتى الآن القبض عليها.."
قالت الملكة بصوت متهدج "إنها في قبضة الثوار.. ألا تعلمين معنى هذا؟.. لا نعلم المصير الذي تلاقيه على أيديهم.. إنهم يحملون حقداً كبيراً على الملك السابق، وقد يعمدون للانتقام من بي ناريا دون أن تجد من يحميها.."
أحاطت جوين كتفي الملكة بذراعاها وتواسيها وهي تسمعها تضيف بحزن "حاولت إنقاذها، لكنني رميتها في مصير أسوأ.. لابد أنها تلعنني الآن.. أه يا ابنتي الحبيبة.."
وانخرطت في بكاء مرير وجوين تنظر لها بحيرة وهي لا تعلم كيف تهديء من روعها.. ثم فوجئت بالملكة تتشبث بملابسها وهي تقول من بين دموعها "جوين.. سأطلب منك معروفاً.. أرجوك لا ترفضيه.."
قالت جوين بلهفة "أمريني يا مولاتي.. سأفعل كل ما أستطيعه إن كان هذا سيزيل الحزن من على وجهك.."
أطرقت الملكة ودموعها تسيل من جديد وهي تهمس "أرجوك.. طمئيني على بي ناريا.. تقصي أخبارها.. لا تعودني قبل أن تعلمي حالها وتأتني بالخبر الأكيد عنها.."
صمتت جوين قليلاً وهي تتأمل ضعف الملكة وشحوبها، ثم قالت وهي تضغط على كتف الملكة "سأفعل يا مولاتي، إن وعدتني أن تعتني بنفسك أكثر وتستعيدي صحتك وأنت تنتظريني.."
وحملت الطعام لتقربه من الملكة، وعقلها يفكر في المخاطر التي ستواجهها إن حاولت التدخل في أمر بي ناريا من جديد..

كان النهار قد انتصف عندما توقفت قافلة المركبات دون سبب مفهوم.. وحال توقفها هبط هارولان من المركبة التي يستقلونها متجهاً إلى مركبة الرئيس، وقد أصرّ على بي ناريا أن تبقى في موقعها.. ظلت بي ناريا تتطلع إلى ما يحدث عند المركبة الأولى وهي تودّ لو تنضم إليهم.. لا تحب أن تبقى في الظلام.. تودّ لو تعرف كل شاردة وواردة كي تحكم بنفسها كيف تتصرف إزاء المتغيرات التي تمر بهم..

ما إن اقترب هارولان من الرئيس حتى سمعه يقول "أحسنّت صنعاً بالمجيء.. أريد توكيل مهمة محدودة إليك.."

تساءل أحد الرجال بضيق "ولماذا دائماً هارولان؟.. ألا نكفي نحن؟"

قال الرئيس "لأن هارولان يعرف بالضبط ما أريده وكيف أريد تحقيقه.. حتى وهو بعيد فإنه يتصرف التصرف المناسب الذي لا يمكنني أن أعترض عليه، ولذلك فأنا أطمئن كلما أوكلت له أمراً.."

وقطب مضيفاً "ثم إنني لا أحب هذه النبذة في الاعتراض.. لو رأيت على الرجل ما لا يعجبك فلتتحدث.. لكن أن تعترض دون سبب مفهوم فهذا ما لا أريده أن يحدث بين الثوار.."

صمت الرجل على مضض، فيما قال هارولان "ما الأمر؟.. هل جدّ جديد؟"

أشار الرئيس له ليتبعه، وابتعد الاثنان عن الآخرين مسافة قبل أن يقول الرئيس "الحمولة التي أرسلتها سابقاً.. يبدو أن أمرها كُشف"

اتسعت عينا هارولان بدهشة قائلاً "كيف؟ ومتى؟"

أشار الرئيس لرجل يقف على ظهر توكور قرب المركبة قائلاً "هذا من رجالنا الذين أرسلتهم لحماية الحمولة والتأكد من وصولها إلى هدفها.. لكن يبدو أن أحد الرجال الذين عينتهم قد تم شراؤه.. فقد اختفى فجأة بعد أن أفصح القائد الذي عينته للبقية عن الخطة.. لقد حرصت أن يسير رجالنا في وجهة لا يعلم عنها إلا القائد.. لكن عند اقترابهم من هدفهم يتعين على القائد أن يفصح لهم عن الخطة وأخطارها، كي يكونوا قادرين على تقدير المغامرة التي هم مقدمون عليها والتصرف كما يجب لتفادي أي خطر.. لكن ما إن فعل القائد ذلك حتى تبخر الرجل من بينهم في نفس الليلة"

قال هارولان "أعتقد أنه خائن حقاً؟"

قال الرئيس زافراً "أنا واثق من هذا.. لا أستطيع لومه حقاً فربما اضطرت ظروفه السيئة وحاجته للمال لخيانتنا ليضمن إعالة عائلته.. أنت تعلم أن عملنا هذا لا ربح له بل خطر الموت يتهددنا في كل ثانية.."

ثم نظر إلى هارولان مضيفاً "لذلك لم أستطع توكيل أحد غيرك بهذه المهمة.. أنا أثق فيك أكثر من أي شخص آخر، كما وثقت في أبيك من قبل.. أما البقية، فقولني إنني لا أثق بهم كفاية يعني اتهامي لهم بالخيانة، ولا أريد أي بليلة الآن بين صفوف الثوار"

قال هارولان "وما الذي تطلبه مني الآن؟ مرني وأنا سأنفذ"

قال الرئيس واضعاً يده على كتف هارولان "أريدك أن تلحق بتلك الحمولة.. لقد اضطر رجالنا لتغيير مسارهم خوفاً من مداهمة الجنود لهم.. لكن أخشى أن تتسبب هذه الخيانة في تشديد الحصار على المدينة وتكثيف التفتيش على بواباتها، عندها تكون مهمتنا قد باءت بالفشل قبل أن تبدأ.. اذهب وتأكد من إيصال الحمولة إلى

هدفها بأسرع ما يمكن وبأقل شبهة ممكنة.. ولو تمكنت من الإمساك بالخائن، فلا تعتمد لعقابه، لكن تأكد أنه لن يشي سرنا لقوات المدينة أبداً.."

ابتسم هارولان معلقاً "أنت طيب القلب حقاً.. لو كنت مكانك لأطرت رأس ذلك الخائن على الفور.."
قال الرئيس بابتسامة خفيفة "عليك تقدير حاجات الآخرين وظروفهم يا هارولان.. لن تعلم ما الظروف السيئة التي دفعت الرجل للخيانة إلا لو تحدثت معه وجهاً لوجه.. عندها قد تدهش لكم البؤس الذي يحيط ببعض رجالنا رغم صمتهم.."

قال هارولان "لا حاجة بك للشرح.. أنا أعلم هذا تمام العلم.."
فقال الرئيس "اذهب ولا تتأخر في العودة إلينا.. أنت تعلم مسارنا تمام العلم ويمكنك اللحاق بنا في أي وقت.. وحافظ على حياتك ما استطعت.."

ابتسم هارولان وهو يستدير مبتعداً.. فعاد إلى مركبته ليتناول سلاحه وهو يهمس لبي ناريا "الرئيس أوكل لي مهمة عاجلة.. لن أتأخر طويلاً.."

بدا القلق على وجهها، لكنه سارع ليقول قبل أن تفتح فمها بكلمة "لا تحملي هماً.. سأكون بخير هذه المرة.."
والتفت إلى أحد الرجال قائلاً "سأعهد لك بجوين يا تيمين.. حافظ عليها واحمها من أي خطر يهددها.."
قال تيمين مقطباً "وما الذي سأجنيه من هذا؟"

قال هارولان بسخط "سأقتلك يا تيمين.."

فقال تيمين ضاحكاً "لا تخف أيها العاشق.. أميرتك ستكون بخير.."

انتفضت بي ناريا وهي تنظر إلى تيمين، ورغم أنها تعلم ما قصده بذلك التعبير المجازي، لكنها لم تستطع إيقاف القلق الذي اشتعل لدى سماعها ذلك اللقب..

شعرت بيد هارولان تضغط على يديها لتهديها، ثم ابتعد بسرعة لينجز مهمته وبي ناريا تتابعه ببصرها وتراه يمتطي التوكور برفقة الرجل الآخر.. ثم سمعت تيمين يعلق "ما الذي أعجبك حقاً في ذلك الرجل الجلف؟"

لم تجبه بي ناريا أو تلتفت جهته مما دفعه ليقول "بل ما الذي أعجبه بك؟ أنتما ثنائي عجيب حقاً.."
أما هارولان، فقد انطلق بالتوكور برفقة الرجل الذي قال له "سنستغرق عدة ساعات للوصول إلى هدفنا.. فهل تقدر على الصمود حتى ذلك الوقت؟"

قال هارولان بابتسامة "أقدر على ما هو أكثر.. فعليّ إنجاز مهمتي والعودة بأسرع ما أستطيع قبل أن أزيد قلق زهرتي الرقيقة"

نظر له الرجل بتعجب وصمت دون أن يعلق على قوله بكلمة..
